المثقفون الفرنسيون والتعذيب

د. عسال نورالدين، جامعة جيلالي ليابس، بلعباس

شكلت ثورة الجزائر منعطفا هاما في التاريخ المعاصر لمثقفي فرنسا الذين تجاهلوا تماما أن فرنسا في حرب ضد الجزائر ولا يعيرون لحركات التحرر أي أهمية، فسياسة التعذيب التي مارسها الجيش الفرنسي ضد الشعب الجزائري لم تجد أي ردة فعل فعلية، فكان لا بد من انتظار سنة 1955حتى تحتل أخبار الجزائر صفحات الجرائد، ومساحات للنقاش ولتلفت الطبقة المثقفة الفرنسية إلى حقيقة الأمور، فقد كان هاجس شريحة واسعة من المفكرين بعد الحرب العالمية الثانية القضاء على الخطر النازي، وفهم العلاقات بين الشرق والغرب.

فحقيقة أن بعض المثقفين الفرنسيين ساندوا نضال الشعب الجزائري، لكن ظهرت فئة أخرى لم تكتف بعدم المساندة بل أعلنت عن حقيقة أفكارها وفلسفتها المتمثلة في معاداة الاستقلال والحرية فهذا الأديب **أندري مارلو** André marlo وهو أحد أصدقاء ديغول الذي عبر عن أفكاره الأدبية وتجربته في الحرب العالمية الثانية في كتابه " **الشرط الإنساني** "La condition humaine وعانى من المعاملة الوحشية للألمان وأصبح وزيرا للثقافة في عهد الجمهورية الخامسة، يتنازل عن أفكاره ومواقفه التي كان يؤمن بها كالحرية الإنسانية، ورفض التصريح بأن الحكومة الفرنسية أمرت السلطات العسكرية في الجزائر بتطبيق أوامرها بممارسة التعذيب، وعندما طلب منه في سنة 1958 المشاركة ضمن مجموعة من المثقفين الفرنسيين الذين نددوا بالاستعمار رفض ذلك معتبرا أن فرنسا ليست دولة استعمارية في الجزائر، ولابد من ترك الأشياء تأخذ مجراها الطبيعي، ولو إلى حد التعذيب.[1]

كما عبر **ألبار كامو** Albert camus المفكر والأديب والفيلسوف الفرنسي عن مناهضته للثورة الجزائرية، وتأييده لفكرة " **الجزائر فرنسية** "ويمانه بحل فيدرالي حتى ولو كان بالتعذيب وقتل الآلاف من السكان المسلمين، فقد أيد مجيء " **منديس فرانس** "في 1955 إلى الجزائر، وذلك لإعادة النظام والقانون الفرنسي لمجراه الطبيعي على أرض الجزائر.

كان موقف "**كامو**" سلبيا برفضه الاعتراف بتاريخ و أصالة الشعب الجزائري، وشجع الجيش الفرنسي على استعمال شتى الأساليب لحماية الأوربيين بالجزائر حيث قال في سنة1955: "**عندما يعلن عن استقلال الجزائر، سيقوم بنشاطات مكثفة ودعاية ضد تقرير المصير للشعب الجزائري.**[2]

ومن ستوكهولم حيث تسلم "**ألبير كامو**" جائزة نوبل للآداب، وردا على أسئلة الطلبة السويديين حول الأوضاع الجارية في الجزائر، صرح بأنه يدين الإرهاب الأعمى الذي يمارس في شوارع الجزائر العاصمة والذي يمكن أن يضرب أمه ذات يوم أو عائلته، وأنه يؤمن بشدة بالعدالة، ولكني مستعد للدفاع عن أمي قبل العدالة . لكن جول روي Jules roy يرد عليه إن السؤال المطروح هنا، لم يكن في تفضيل أمك على العدالة، بل السؤال هو أن تحب العدالة مثل ما تحب أمك[3] واعتبر أحمد طالب الإبراهيمي أن كامو بالرغم من أن الجزائريين خولوا له لقب كامو الجزائر فإنه لا يستحق هذه الجائزة.[4]

في الوقت نفسه اختار الكثير من المثقفين الفرنسيين مواقعهم بكل شجاعة، فقد قام العديد من المثقفين، بتشكيل لجنة في نوفمبر 1954 من أجل إطلاق سراح ميصالي الحاج، وكل ضحايا القمع، وضمت

هذه اللجنة: جون كاسو Jean cassou ، مارسو بيفارMarceau pivert، اندري برتونAndré breton، ايف ديشزالYves dechezelles، الكسندر ايبارAlexandre hebert، ايف جوفا.Yves jouffa وفي 09 ديسمبر 1954 ظهرت لجنة مكافحة القمع الاستعماري، نشطها دنيال غيرانDaniel guerrin ، ثم لجنة من أجل الدفاع عن الحريات الديمقراطية في أوت 1955 من قبل كلود بورديClaude bourdet ، وجورج فونتنيسGeorges fontenis ، ولجنة ضد تنفيذ حكم الإعدام على مصطفى بن بولعيد في جويلية 1955 بمبادرة روبار شارميRobert charmy ، روبار باراتRobert barrat ، وتوقيع جيلبار جيبسون Gilbert gibson، فرانسوا مورياسFrançois maurias ، جون ماري دوميناكJean marie domenach ، ولجنة عمل المثقفين ضد استئناف الحرب في الشمال الإفريقي، ولجنة العفو عن المساجين السياسيين ما وراء البحر، نشطها ماسينيو Massignonالذي طالب من رئيس الجمهورية الفرنسية، بتعليق تنفيذ إحكام الإعدام، والحركة للعدالة والحرية ما وراء البحر، نشطها جون روسJean rous ، لويس ايدوفيل Louis houdeville ومارسو بيفار Marceau pivert[5].

وتتضح مواقف المثقفين تجاه الثورة الجزائرية في انطلاقتها الأولى رغم أنها ارتبطت بالمسألة الكولونيالية، ذلك أننا نلاحظ كثير من التردد والالتزام لصالح استقلال الجزائر، ففي خريف1955 ولأول مرة نشرت على صفحات جريدة "لوموند" عريضة جماعية لعدة أسماء ثقافية وفكرية معروفة توضح موقفها من الثورة وضمت هذه العريضة جون بول سارتر Jean paul sartre ، جون لوي باروJean louis barrot ، وروجيه مارتن دي غارارRogert martin de gara ، والأسقف بيار Pierre وفي السابع من نوفمبر من العام نفسه، اجتمع مثقفون من أجل السلم في الجزائر، قرروا العمل بكل الطرق لوضع حد للحرب الدائرة في الجزائر.[6]

كما ساهم فرنسيس جونسونFrancis jeanson ، في دعم الثورة الجزائرية فقد أصدر في سنة 1955كتابه الأول بالاشتراك مع زوجته كولات جونسون Colette jeanson بعنوان الجزائر خارجة عن القانونL'Algérie hors la loi الذي انتقد فيه بشدة سياسة الاستعمار الفرنسي ودافع عن حقوق وحرية الشعب الجزائري وأيد جبهة التحرير الوطني حيث ذكر: **"إن استمرارية القمع في الجزائر سيكلف الوطنيين الفرنسيين حريتهم المدنية، والعمال الفرنسيين سيبقون محل صفقات السلطة".**[7]

وفي 1956 شكل منظمة سرية لتقديم يد المساعدة للمهاجرين الجزائريين في فرنسا، وهي شكل من أشكال التعبير السياسي والتمرد والعصيان على السلطة الحاكمة، وكان عملها هو جمع الاشتراكات والأموال والألبسة والأدوية وتهربها إلى الدول الأوربية لمساعدة اللاجئين، ووقف موقفا شجاعا ضد سياسة فرنسا الاستعمارية مستنكرا جميع مظاهر التعذيب المسلطة على الشعب الجزائري فلا للتعذيب المستمر والطويل للمناضلين والمشبوهين، لا للتجميع المستمرة للشعب الجزائري، محملا الشعب الفرنسي تبعات هذه السياسة لأنه وقف عاجزا أمام سلطته وانحيازه الأعمى لطائفة معينة أو لحزب.[8]

لقد بدأت الأصداء المؤيدة للثورة الجزائرية تظهر في سنة1956 التي شكلت منعطفا حاسما، إذ ازدادت تنظيما وتصعيدا ووضوحا في الوصول إلى الاستقلال، ففي 27 جانفي 1956 نظمت لجنة العمل تجمعا بقاعة واغرام Wagram تحت رئاسة مايوكس Mayoux ودنيال غيران، وجون روكسJean roux واندري ماندوز André mandouz وجون بول سارتر، وايمي سيزار Aime cesaire وروبار يارات وكانت القاعة

مكتظة بثلاث أرباع من الجزائريين أعلنوا صراحة عن تأييدهم لجبهة التحرير الوطني، وجاء في كلمة لـ سارتر :"**إن الشيء الوحيد الذي نستطيع أن نقوم به اليوم، هو المقاومة إلى جانب الشعب الجزائري، من أجل تخليص في نفس الوقت الجزائريين والفرنسيين من الديكتاتورية الكولونيالية**" [9] واجتمعت اللجنة من جديد في مارس بعد أيام من التصويت على قانون السلطات الخاصة في حكومة غي مولي مطالبة بوقف القتال مع المحاربين الجزائريين.

وفي 05 أبريل 1956 نشر هنري مارون Henry Marron أستاذ التاريخ القديم بجامعة السوربون مقالا في جريدة لوموند بعنوان **فرنسا بلدي** يحذر فيه الحكومة الفرنسية والرأي العام الفرنسي من مخاطر [illegible] الوسائل المستعملة التي منحت في إطار قانون السلطات الخاصة، فهناك خطورة كبيرة على الصحافة والراديو، وأصبحنا نستمع إلى راديو سويسرا ونقرأ من الصحافة الأجنبية، وأكد على وجود مخابر للتعذيب في كامل الجزائر واستحالة الدفاع عن قضية نبيلة بوسائل قمعية، فالشرف الفرنسي ينهار، والوطن في خطر. [10]

واستنكر الكاتب الفرنسي جول روي Jules roy أعمال التعذيب الوحشية الممارسة ضد الجزائريين في العديد من كتاباته خاصة أنه كان على دراية بالممارسات التي ارتكبها الجيش الفرنسي في الهند الصينية، وقد أشار في كتابه: "**أني اتهم الجنرال الفرنسي ماسو بسبب التعذيب الذي مورس في الهند الصينية. تركت الجيش الفرنسي...لم يبق عندنا غير الجزارين...أنتم إلا أكذوبة وما زلتم تصفعون ضحاياكم بالدم**[11].

وعبر الأستاذ الفرنسي" ماشينو " على أن الوقت قد حان لرفض الوضع الراهن فيجب على فرنسا أن تبطل أمام جميع الأمم حرب الإبادة في الجزائر لأن الرجال الأحرار يتألمون في ضمائرهم أمام جرائم الحكومة الاشتراكية، وطالب من محكمة العدل الدولية بمحاكمة مجرمي الحرب الفرنسيين وتعيين لجنة بحث في الجرائم التي ترتكب ضد الإنسانية.[12]

كما وجه أستاذ في الحقوق بباريس " **رينيه كابتان** "René capitaine رسالة إلى وزير المعارف الفرنسية على إثر سماعة" انتحار "المناضل الجزائري " علي بومنجل "يوم 25 مارس 1957 مستنكرا فيها رسائل الإرهاب والتعذيب التي تمارسها السلطات الفرنسية في الجزائر، وإن هذه الأساليب التي لم تستعمل حتى ضد الأسرى الألمان أثناء الحرب العالمية الثانية، والتي سمحت الحكومة الفرنسية بتطبيقها على الجزائريين، لهذا قرر التوقف عن التدريس في كلية الحقوق الفرنسية.[13]

ومن بين المثقفين الفرنسيين الذي حارب الفكر الكولونيالي نجد فرانز فانون Franz fanon الذي قدم استقالته إلى الحاكم العام من منصبه كطبيب في مستشفى الأمراض العقلية بالبليدة في نهاية 1956 والتحق بصفوف جبهة التحرير الوطني، واكتشف في هذه الأثناء حقيقة بنية الأوربي عامة والمجتمع الفرنسي خاصة، وأدرك حقيقة وجوده كأسود اللون في المجتمع الأبيض، فالملاحظة التي سجلها "فانون" بشأن العنف الاستعماري بأن الاستعمار ليس آلة مفكرة ليس جسما مزودا بعقل، وإنما عنف هائج لا يمكن أن يخضع إلا لعنف اقوى، فالوجه التخريبي الإرادي المطلق الذي ظهر بوضوح في حرب الجزائر لا يعني أن الاستعمار آلة صماء، لقد كان يفعل ذلك بقصد تحطيم إرادة الشعب، وحمله على أن يركع، ويتخلى نهائيا عن مطلب الاستقلال ولذلك يجب مواجهته، إلى جانب العنف الأقوى بالعقل والتفكير، وضبط الخطط .[14]

وفي كتابة "معذبوا الأرض" ذكر أن الدولة الاستعمارية ترتكب خطأ فادحا وتقترف ظلما لا يوصف

إذ هي اكتفت بأن تسحب من أرضنا قواها العسكرية وأجهزتها الإدارية، والاقتصادية ...إن التعويض بأن المعنوي الذي يحققه لنا الاستقلال لا يعمينا عن الحقيقة، إنه لا يطعمنا من جوع". [15]

وكانت" لفانون "نظرة خاصة تجاه المثقفين الفرنسيين فهم لا يختلفون كثيرا عن المواطنين الفرنسيين العاديين، فلقد تشبعوا بواقع استعماري يجعل الجزائر قطعة من فرنسا، ومجرد التفكير في إمكانية فصل تلك القطعة عن الوطن تكون بمثابة خيانة لا تغتفر.وحسبه دائما فإن الجزائر ليست فرنسا، ولا يمكن أن تكون فرنسا يمنعها من ذلك التاريخ والجغرافيا، والثقافة والحضارة، والدين، والأوروبيون ليسوا جزائريون لأن الموانع كثيرة، وكان عليهم أن يشرحوا لمواطنيهم أن ما يجري في الجزائر إنما هو ثورة، تهدف إلى استرجاع السيادة المغتصبة وتحرير الأرض والإنسان معا[16].

وبعد محاكمة"جميلة بوحيدر "كتب" فانون "في جريدة المجاهد إن دفاع" فرجيس "و"أرنو "هو شرف لهما، لكنهما أهملا القضية الأساسية، فالشعب الجزائري يعرف أن هناك جميلات أخريات ويعرفا كذلك بأن الاستعمار يأمل أن يزعزع الإرادة الوطنية بمضاعفة الإعدامات[17] وعابا عنهما أنهما حاولا من خلال دفاعهما أن يقدما للشعب الفرنسي مناضلة جزائرية مؤمنة بقضية و وقعت أسيرة في قبضة العدو كفتاة غرر بها وهي في حاجة إلى تعاطف الجمهور الفرنسي لإنقاذها من الموت.هذه الطريقة في المحاماة ليست طريقة للنضال من أجل مناصرة القضايا العادلة، ويرى أن أسلوب" فرجيس وارنو "دليل قاطع على شلل الضمير الفرنسي وتخلفه التاريخي.[18]

كما ندد "جاك بياريغا"Jacques Peyrega " عميد كلية حقوق الإنسان بالجزائر العاصمة في رسالة بعثها إلى وزير الدفاع "**بورجيس مينوري** "بعمليات القتل العشوائي في حق الموطنين الأبرياء، ثم أرسل نسخة من هذه الرسالة إلى جريدة لوموند في 05 أفريل195 ، لكن مجموعة من الطلبة الفرنسيين رفضت هذه الرسالة ملقبة إياه "بعميد الفلاقة" وقرروا قتله، مما دفعه إلى الفرار إلى فرنسا في 09 أفريل1957.[19]

وبعد مقتل **موريس أودان** تشكلت الرابطة لحقوق الإنسان، ولجنة" موريس أودان التي قررت في 30 مايو 1958 تنظم هذه اللجنة وأربع جمعيات أخرى اجتماعا بفندق لوتليا Lutelia حضره جيلبار علاق Gilbert Alleg، دانيال مايارDaniel Mayer، الجنرال بيلوتBillotte، سارتر، فرانسوا مورياس، حيث نددوا بالتعذيب وطالبو من الجنرال ديغول بوضع حد لهذه التجاوزات وأنجزوا ملفا حول القمع بالجزائر أرسل إليه في ديسمبر 1958 بهدف إطلاع السلطات العليا بعدم احترام حقوق الإنسان بالجزائر، وطالبوا بالعدالة وتسليط العقوبات على كل المسؤولين الذين تسببوا في هذه المأساة.[20]

وبعد نشر كتاب التعفن La gangrène في 10 جانفي 1959 ظهرت مجموعة من المثقفين الفرنسيين ضمت ألبار شاتوليAlbert chatelet، لوران شوارتز Laurent schwartz وهنري ماروHenry marou ، جون دراخJean drech الذين نددوا بالتعذيب الذي لا يشرف الذين يقترفون هذه الجرائم و يأمرون ويقبلون بها يعملون على نفيها وهم على علم بذلك، فالتعذيب بالنسبة إليهم هو جريمة ضد الإنسانية و الحرية، فلقد اختفى منذ قرنين وعليه أن يختفي إلى الأبد، وفي 15 جانفي من نفس السنة نشر مركز الإعلام ولجنة أودين تصريحا مشتركا رحبت فيه بإجراءات العفو التي اتخذها الجنرال ديغول لكنها تبقى غير كافية لحل مشكلة التعذيب بالجزائر وفرنسا طالما بقي الجلادون المعروفون يتمتعون بالحصانة، وبقاء شكاوى الضحايا بدون رد وحبيسة الإجراءات البيروقراطية.[21]

ولعل من أبرز المثقفين الفرنسيين الذين تبنوا موقفا جريئا ضد التعذيب هو جون بول سارتر الذي كان يرى أن الإنسان إذا تنازل عن حريته يعني تنازله عن صفته إنسانا وعن حقوق الإنسانية وحتى عن واجباته، وليس هناك من تعويض ممكن لمن يتنازل عن كل شيء، و هذا يناقض طبيعة الإنسان، ونزع كل حرية من إرادة الإنسان، هو نزع كل قيمة روحية لأعماله، وإذا كانت الحرب لا تخول الغالب حق إيقاع مذبحة في الشعوب المغلوبة، فإن هذا الحق الذي حرمه لا يصلح لأن يكون أساسا لحق استعباد لتلك الشعوب.[22]

فهل كان موقفه تجاه الثورة الجزائرية نابعا من إنسانيته، وفلسفته وإيمانه بالحرية كقيمة تنشدها هذه الثورة؟ وهل كان هذا الموقف محاولة مع غيره من المثقفين إنقاذ شرف فرنسا الذي لطخته زمرة من الساسة والعسكريين؟

إن التعذيب عند سارتر أثناء الثورة التحريرية ليس التعذيب مدنيا أو عسكريا ولا فرنسيا على وجه التخصيص، بل إنه وباء يكتسح العصر كله، ولكنه يطبق بانتظام خلف ستار المشروعية الديمقراطية ويمكن تعريفه بأنه مؤسسة نصف سرية، فهل أسبابه واحدة في كل مكان؟ [23]

في بداية الثورة التحريرية كان سارتر جاهلا بمسألة تعذيب الجزائريين الذين قاوموا مختلف الأساليب الوحشية وعانوا من كثرة التشرد، وتدريجيا أصبح يعي ويدرك حقيقته في الجزائر وهذا عندما قامت قوات ماسو بتعذيب هنري علاق، حيث رأى بأن هذا الرجل جعله يكتشف وينبهر من هول التعذيب لكن من هؤلاء الجلادون؟ أهم ساديون؟ أو هم ملائكة غاضبون؟ أهم أسياد ذووا أهواء مرعبة؟ أسئلة أجاب عنها علاق في أنهم يودون أن يقنعوا أنفسهم ويقنعوا الصحية بسيادتهم المطلقة، فهم أحيانا بشر يمسكون أناسا تحت رحمتهم وأحيانا أخرى هم رجال قساة أقوياء، أوكل إليهم ترويض أصعب البهائم وأشدها وحشية .[24]

وبذلك أدرك هنري علاق الذي قاوم بشجاعة أساليب التعذيب المطبقة من قبل الجيش الفرنسي في الجزائر وحقيقة التعذيب المفروضة وندد بهذه الطرق البشعة التي تقلل من قيمة الإنسان وتجعله مثل الحيوان إذ كتب قائلا: **"لقد فرض التعذيب نفسه تلقائيا وأصبح روتينيا قبل أن يلاحظ الناس ذلك غير أن الحقد البشري الذي يتمثل فيه، إنما يعبر عن العنصرية، لأنه يراد تهديم الإنسان نفسه، بكل صفاته الإنسانية، الشجاعة، الإرادة والذكاء، الأمانة، الصفات نفسها التي يطالب بها الاستعمار، لكن إذا استخلف الغضب الأوروبي، إلى درجة أن يحتقر صورته نفسها، فذلك لأن عربيا عكس هذه الصورة".** [25]

وفي سنة1959 كتب سارتر مسرحية روائية "سجناء الطونا" التي عالجت أساليب التعذيب وقدمت هذه المسرحية بأحد مسارح باريس وركزت في مضمونها على طرق التعذيب التي مارسها الجيش الفرنسي، وعن الجرائم التي ارتكبتها النازية وإسقاطها على الفرنسيين الذين يعذبون الجزائريين، وأن ما عانه الفرنسيون أثناء الحرب العالمية هو نفسه الذي عانى منه الشعب الجزائري خلال هذه الفترة.[26]

لقد تطور موقف "سارتر" تجاه الثورة الجزائرية في بداية الستينات إذ دعم فكرة الحرية التي كان ينادي بها، ففي فيفري 1960 قام بزيارة إلى كوبا مع سيمون دي بوفوار Simone de Beauvoirوتقابلا مع كاسترو، وفي هافانا التقى ببعض المثقفين البرازيليين أين ألقى محاضرة، ندد فيها بالسياسة الفرنسية، وفي نوفمبر 1961شارك في مظاهرة سلمية احتجاجا على القمع والتقتيل للعمال الجزائريين المتظاهرين في 17 أكتوبر بباريس، وفي 13 ديسمبر 1961 حضر في جمعية نظمها ممثل جبهة التحرير الوطني الطيب بولحروف، وممثلين عن اليسار الإيطالي حول استقلال الجزائر، هذه النشاطات سمحت له بالحصول على جائزة أميغا في

ميلانو.[27]

استطاعت مواقف وأفكار سارتر أن تجد لها صدى في الوسط الثقافي الفرنسي فمع بداية سبتمبر 1960 قام 121 مثقف فرنسي بإمضاء بيان بعنوان إعلان الحق بعدم الخضوع أثناء حرب الجزائر، ونشر هذا البيان في جريدة الحرية والحقيقةLiberté ، Vérité في سبتمبر، وأكتوبر1960 ، وحسب الموقعين فإن هناك الكثير من الفرنسيين يتعرضون للمتابعة والسجن، والمحاكمة، لأنهم رفضوا المشاركة في هذه الحرب.

بالنسبة للجزائريين فإن الصراع سيتواصل بوسائل عسكرية أو دبلوماسية إنها حرب الاستقلال، لكن بالنسبة للفرنسيين ما هي طبيعتها؟ إنها ليست حرب خارجية إنها حرب ضد رجال تعتبرهم الدولة مثل الفرنسيين، إنها حرب إمبريالية، استعمارية.

في هذه الظروف فإن الكثير من الفرنسيين جاءوا لإعادة النظر في معنى القيم التقليدية، ما هو التحضر؟ أعلن الموقعون:

-إننا نحترم ونحكم مبررين رفضنا لحمل السلاح ضد الشعب الجزائري.

-إننا نحترم ونحكم مبررين سلوك وتصرفات الفرنسيين الذين يرغبون ويرون أن من واجبهم مد يد العون وحماية الجزائريين المقهورين باسم الشعب الفرنسي.

-إن قضية الشعب الجزائري التي تساهم بطريقة حاسمة في تدمير النظام الاستعماري هي قضية كل الأفراد الأحرار.[28]

ينتمي معظم الموقعين على البيان إلى المثقفين العاملين بمجلة الأزمنة الحديثة التي يديرها، سارتر سيمون دي بوفوار، والروائي ميشال بوتور Michel Botour وعالم الاجتماع ماكسيم روديسون Maxim Rodinson، والزوجة السابقة لوزير أندري مارلو كلارا.

كان لهذا البيان وقعا خاصا على الساحة الفرنسية فالفئة التي وقعت عليه هي الفئة المثقفة لها مكانتها في المشهد الثقافي الفرنسي والدولي، لذا كان من الضروري الرد بنفس الأسلوب للتشكيك في مصداقية هذا البيان، والتقليل إلى حد كبير، من تأثيره، ففي شهر أكتوبر 1960 أمضى ثلاثمائة مثقف فرنسي بيانا بيان المثقفين الفرنسيين Le manifeste des intellectuels يتهجمون فيه على تلك التصريحات الخطيرة التي تهدد فرنسا ووحدتها الترابية، واعتبروا هؤلاء مجرد شرذمة تهاجم فرنسا والغرب. فحرب الجزائر في نظرهم مجرد كفاح مفروض على فرنسا من طرف أقلية متطرفة وإرهابية، وعنصرية خاصة وأن الجيش الفرنسي يقوم منذ سنوات بمهمة حضارية، واجتماعية، وإنسانية، واعتبر الأمين العام لهذه الحركة بيار غروس Pierre gros claude، والقاضي هنري مازود Henry mazeaud والمؤرخ جيلبار بيكارGilbert picard إن هذا البيان ما هو إلا دعاية مغرضة ويشكل خطرا على الشباب الفرنسي، بينما وصف غابريال مارسال Gabriel marcel التوقيع على بيان مجموعة 121 بالخيانة العظمى، وحث جوزيف هورس Joseph Hoursالدولة الفرنسية على محاربة هذه المجموعة وعدم التنازل والخضوع لجبهة التحرير الوطني.

ضمنت هذه الحركة عدة شخصيات ثقافية أبرزها:

هنري بوردوHenry bordeaux

رولاند دورجالRoland dorgeles

اندري فرانسواAndré françois

بيار كاكوستPièrre caxotte

غابريال مارسالGabriel marcel

هنري ماسيسHenri massis

بيار نورPièrre nord

الكولونيل ريميRemy

ينتمي أصحاب هذا البيان الذين يتشكلون من أساتذة جامعيين إلى حركة تأسست في أكتوبر 1958 وتوسعت على مدى السنين، حيث وصل عدد أعضائها إلى 1500 شخص مثقف، وشنت حرب البيانات والبيانات المضادة .[29]

وأعلنت الحكومة الفرنسية الحرب ضد هؤلاء المثقفين، فقد صرح الوزير الأول الفرنسي ميشال دوبري Michel Debré بأن الحكومة ستتخذ الإجراءات الصارمة ضد الذين يدعون إلى التمرد والعصيان ومساعدة الذين يرفضون واجب الخدمة العسكرية، لتوظيفهم في نشاطاتهم السياسية، وأصدر بيانا يمنع المثقفين المؤيدين والمتعاطفين مع الثورة الجزائرية خاصة الذين وقعوا على البيان121، بعدم ظهورهم في التلفزيون والراديو والمسرح، كما قامت الحكومة بسجن خمسة صحافيين، وفتشت مقرات الجرائد والمجلات منها:

Le temps-L'expresse- Vérité- Liberté- Esprit- France observateur.□

فأين هي الديمقراطية؟ أليس هذا من سلوكات الأنظمة الديكتاتورية المتهمة من طرف فرنسا بعدم احترام حقوق الإنسان المتمثلة في حرية الصحافة.

ونتيجة لذلك أصبح هؤلاء المثقفون محل كره من المنظمة السرية OAS ومن شباب اليمين المتطرف وقام أنصار **الجزائر فرنسية** بتنظيم مظاهرة عارمة بباريس شارك فيها الآلاف من أعضاء الجمعيات والمنظمات السياسية مرددين شعارات **اقتلوا سارتر**، غير أن الجنرال ديغول كان يرد عليهم لا نسجن فولتير فرنسا.[30]

كما قامت المنظمة السرية بقتل عدة شخصيات ثقافية في الجزائر أو في باريس حيث انفجرت قنبلة في الحي الذي يقيم فيه سارتر، وفي 07 مايو1961 انفجرت قنبلة يدوية بشارع بونابرت في الطابق الأعلى التي يوجد فيه، وبعد شهرين من هذا الحادث انفجرت عدة قنابل يدوية بباريس واحدة منها كانت موجهة لـ أندري مالرو نتيجة إمضاء زوجته السابقة وابنته على بيان121، وكان سارتر يسكن في شارع سان رمان متخفيا خشية تعرضه للقتل، وتحول في نهاية السنة إلى شارع رسبيل رقم 222 في الطابق العاشر حتى سنة1973 .[31]

وبعد إعلان جبهة التحرير الوطني عن الإضراب في جانفي - فيفري 1957 وبداية معركة الجزائر أين استعمل التعذيب بشكل واسع، وبعد مقتل علي بومنجل، وقضية أودان، وشكوى هنري علاق، أصدر المكتب الوطني للاتحاد الوطني للطلبة الفرنسيين في 05 أفريل 1957بلاغا، ندد فيه باستعمال فرنسا طرق منافية للقوانين الإنسانية والشرف الفرنسي والتعذيب والقتل العشوائي والقمع الجماعي، وعبر عن تأثره العميق أمام هذه السلوكات، التي أصابت شرف الأمة، وطالبوا من وزير التعليم العالي الفرنسي، بالتدخل، وفرض احترام حقوق الإنسان.[32]

وقررت أربع نقابات فرنسية: الفيدرالية الوطنية للطلبة FNE والاتحاد الوطني للطلبة الفرنسيين UNEF والكونفيدرالية العامة للعمال CGT والكونفيدرالية الفرنسية للعمال CFT تنظيم إضراب ضد المنظمة السرية الفرنسية، ومن أجل السلم في الجزائر، وذلك بالتوقف لمدة خمسة عشرة دقيقة عن العمل من

الساعة الحادية عشرة صباحا إلى الحادية عشرة والربع، وقامت كل نقابة بنشر بلاغ نص على أن حرب الجزائر تتواصل رغم أن السلم ممكن. إن هذا الصراع أدى إلى تدهور الحريات والديمقراطية ويغذي الفاشية، لذا قررت الفيدرالية الوطنية للتعليم، جعل يوم الثلاثاء 19 ديسمبر 1961 يوم المظاهرات الوطنية ضد المنظمة السرية الفرنسية من أجل عودة السلم في الجزائر[33]، واستنكرت الحركة العمالية الفرنسية الجرائم الفرنسية معتبرة أن الطبقة البرجوازية استطاعت لمدة طويلة أن تخلط الأوراق وتوصلت إلى خداع طبقات هامة من الشعب الفرنسي حول الأهداف الحقيقية لمشروعهم، وأن التقاليد الثورية للشعب الفرنسي ما زالت حية الأمر الذي ساعده على إيقاظ ضميره.[34]

لقد اعتبرت المواقف المختلفة للطبقة المثقفة الفرنسية تجاه الثورة الجزائرية بصفة عامة وأساليب التعذيب بصفة خاصة انتصارا للقضية الجزائرية أمام الرأي العام الفرنسي والدولي الذي تعرض إلى تعتيم إعلامي كبير من قبل السلطات الاستعمارية التي حاولت بكل الوسائل إخفاء حقيقة ما يجري في الجزائر.

الهوامش:

1 - عمراني (عبد المجيد)، **جون بول سارتر والثورة الجزائرية**، مكتبة مدبولي، باتنة بدون تاريخ، ص 73.

2- عمراني (عبد المجيد)، **النخبة الفرنسية المثقفة والثورة الجزائرية 1954 -1962** مطبعة دار الشهاب، باتنة، 1995، ص 78.

3-Roy (jules), **La guerre d'Algérie**, Editions, Guillard, paris, 1960, p 207.

4-Ibrahimi (ahmed taleb). **De la décolonisation à la révolution culturelle 1962-1972** Editions S.N.E.D, Alger, 1981, p 184.

5-Stora (benjamin) **.Ils venaient d'Algérie, l'immigration Algérienne en France 1912-1992** Éditions, librairie Arkhtene fayard, 1992.

6 - فلاح(أمال)." حرب المثقفين "، **مجلة الحدث الدولي**، العدد24 ، نوفمبر2002 ، ص ص 92 -93.

7-Janson (Francis) et Colette (Janson), **L'Algérie hors la loi**, Editions, ENAG, 1993, p 17.

8- Jean (San Francis), **Notre guerre**, Editions de minuit, paris, 1960, pp 59-60.

9-Stora (benjamin). **Ils venaient…**Op cit, p 196.

10-Evno (Patrick) et Planchais (jean), **La guerre d'Algérie**, Editions laphomic, Alger, 1990, pp 99-101.

11-Roy (jules), **J'accuse le général Massu,** éditions du seuil, paris, 1972, p 32.

12-المقاومة، العدد11 ، 01أبريل1957 .

13-المصدر نفسه.

14-الميلي (محمد)، **فرانز فانون والثورة الجزائرية**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت1973 ، ص 184.

15 - المرجع نفسه، ص186 .

16 -الزبيري (محمد العربي) المرجع السابق، ص147.

17-El Moudjahid N° 12, 15 Novembre 1957.

18 - الزبيري (العربي)، المرجع السابق، ص.144.

19-Aussaresse (Paul), **service spéciaux en Algérie 1955-1957.**Éditions, Perrin, 2001**,** P110.

20- Thenault (Sylvie), **Une drôle de justice, les magistrats dans la guerre d'Algérie**. Editions la découverte, paris, 2001, P170.

21-Haroun (Ali), **La 7ème Wilaya la guerre du FLN en France 1954-1962.** Éditions du seuil, paris, 1986, p 418.

22-سارتر (جون بول)، **العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون الأساسي**(ترجمة، بولس غانم)، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، بيروت، 1972، ص ص 18 21.

23-سارتر(جون بول)، **عارنا في الجزائر، (** ترجمة، عايدة وسهيل إدريس)، دار الأدب، بيروت، 1975، ص ص.57-56

24-شطاطة (أحمد). " عارنا في الجزائر "مجلة الجيش، العدد432 ، جويلية1999 ، ص.31-29

25 - سارتر (جون بول). عارنا ...المصدر السابق، ص ص 63 -64.

26-سارتر جون بول. سجناء الطونا، (ترجمة عبد المنعم الحفني) (عالم الكتب القاهرة1960 ، ص ص264 -.265

27 - عمراني (عبد المجيد)، سارتر...، المرجع السابق، ص145.

28-Maspero (François) , **Le droit a l'un soumission Les dossiers des 121**, Editions, François , Paris, 1951, P18 , et Barrat (robert), **Les maquis de la liberté : un journaliste au cœur de la guerre d'Algérie,** Editions témoignage chrétien, entreprise Algérienne de presse, 1987, pp 190-191.

29-Rioux (jean pièrre), **La guerre d'Algérie et les français**. Editions librairie arthenne fayard, 1990, pp 125-126.

30 - هن (خديجة " سارتر والثورة الجزائرية"، مجلة القيم الفكرية والإنسانية في الثورة الجزائرية1962-1954 ، دار الهدى للنشر والتوزيع، الجزائر، ص ص.150 -137

31-عمراني (عبد المجيد) . النخبة المثقفة...المرجع السابق، ص223

32- Stora (Benjamin). **Ils venaient**…op cit, p 254.

33-Le monde, n° 5258, 13 décembre 1961.

34- Egretaud (Marcel). **Réalité de la nation algérienne,** éditions social, paris, 1961, p 301.